جسدي في ثقب إبره
يصعدون الدرج الآن، تركت الباب مفتوحاً لكم
إن آلاف الخيوط الآن، آلاف الابر
تصنع الآن قميصاً للشجر
ما الذي تنتظرين؟[١١].

بمعنى ان معين بسيسو ظل في تجربته الشعرية كلها مشدوداً الى هدف لم يتنازل عنه، هو هدف تبليغ رسالة الى قارىء قصائده؛ وهو ربما بحكم تجربة حياته، وبحكم انتمائه الايديولوجي كان أكثر انحيازاً الى المضمون الذي أراده، باستمرار، دعوة متجددة الى الثورة، الى النضال من أجل وطنه المفقود، ومن أجل مستقبل عربي أكثر مدعاة الى التفاؤل والابتسام. نلاحظ هنا ان الشاعر، في مجموعاته كلها، لم ينجز قصيدة غزلية واحدة، وإن كان لم يغفل المرأة أبداً في ثنايا قصائده، بل كانت المرأة، في هذه القصائد، غالباً ما تأتي معادلاً لظلم الواقع، أشبه بواحة ظليلة في صحراء تعج بالاشواك.

المسرح

يمكن القول، ان نتاج معين بسيسو المسرحي هو النتاج الاهمّ على الصعيد الفلسطيني؛ إذ حمل صفتين هامتين: الجودة والمتابعة. وفي مقابل نصوص مسرحية متفرقة كتبها فلسطينيون، قدّم بسيسو ست مسرحيات على مساحة سنوات السبعينات، عرضت أكثر من مرة وبمعالجات اخراجية متنوعة، وفاز بعضها بجوائز هامة في مهرجانات مسرحية عربية مرموقة.

المسرحيات الست التي خلفها معين بسيسو كانت على التوالي: «مأساة غيفارا»، و«ثورة الزنج»، و«شمشون ودليلة» و«الصخرة»، و«العصافير تبني أعشاشها بين الأصابع»، و«محاكمة كتاب كليلة ودمنة». أمّا أكثر هذه المسرحيات شهرة وانتشاراً في الاوساط المسرحية والثقافية العربية فهي «ثورة الزنج» التي قدّمت على المسرح، لأول مرة، في شباط (فبراير) ١٩٧٠، بإخراج للفنان المصري المعروف نبيل الالفي، فيما عاد المخرج العراقي جواد الأسدي، في عقد الثمانينات، فأخرجها لفرقة «المسرح الوطني الفلسطيني» برؤية إخراجية جديدة.

في الحديث عن مسرح معين بسيسو، يمكن ملاحظة خطوط رئيسة صاغت البناء الفكري والفني لهذه المسرحيات. هذه الخطوط هي: المضمون السياسي، والعودة الى التاريخ، واللغة الشعرية.

المضمون السياسي، دعوة الى الثورة

من الواضح ان توجه الشاعر الراحل نحو المسرح جاء انطلاقاً من رغبة عارمة في قول ما رأى ان الشعر والمقالة لم يكونا كافيين لاستيعابه. وباعتبار المسرح فضاءً مفتوحاً للحوار مع الجمهور وتقديم رؤى سياسية مباشرة اليه، خصوصاً ان معين بسيسو حرص على كتابة نصوص مسرحية قابلة للتحقيق على المسرح، وليس للقراءة فقط، في تأكيد أهمية الوصول الى المواجهة الحرة مع جمهور المسرح وهو ما يمكن تلمسه في تصدي الشاعر لقضايا سياسية مباشرة، سواء جاءت من خلال قضية فلسطين («ثورة الزنج» و«شمشون ودليلة» و«العصافير تبني أعشاشها بين الاصابع»)، أو من خلال طرح مفاهيم الكفاح ضد الظلم والاستعمار على الصعيد العالمي («مأساة غيفارا»)، أو كذلك من خلال التصدي لظلم الحاكمين وغياب الديمقراطية وحرية التعبير («محاكمة كتاب كليلة ودمنة»)،